الرقص فوق لهيب النار

كارينا أبو نعيم

الطبعة الأولى
أيار 2012

الرقص فوق لهيب النار

كارينا أبو نعيم

الطبعة الأولى
أيار 2012

إهداء

لولا إلحاح والديّ لما خرجتْ هذه المحاولة الكتابية الى النور.

الى أمي نهاد التي لا يليق بها إلا لقب أغلى نساء الكون.

الى والدي سمير، هذا المارد الكبير الذي أفنى عمره في بناء الإنسان والمواطن فينا. وقد شاركتْه في مسيرة النضال هذه والدتي لأكثر من أربعين عاماً.

لك أمي.. ولك أبي.. أهدي كتابي المتواضع.

كارينا سمير أبو نعيم

مقدمة

«الرقص فوق لهيب النار» مجموعة من الخواطر جاءت وليدة لحظتها لتعبر عن حالات الإنفصام التي نعاني منها جميعنا.

ميزة هذا العصر ارتداء الأقنعة الزائفة. إنه زمن الإنفصامات بامتياز. لهذا نحن لا نميز الصادق من المراوغ.

«الرقص فوق لهيب النار» تجربة سوداوية في زمن التغييرات. ربما سينفر منها البعض، وسيجدها البعض الآخر واقعية وقريبة الى الحقيقة.

أحببت أن أجمعها في كتيّب عنوانه «الرقص فوق لهيب النار»، لأن لكل واحد منا رقصته، ولكل منا حركاته، ولكل منا خطواته الخاصة التي لا تشبه إلا نفسه.

إنه زمن الإنفصامات

إن التغييرات الحاصلة في أيامنا هذه، وضعتنا أمام حالة خطيرة باتت ظاهرة للعيان ونصادفها كل يوم.
يمكن أن نقول إنه زمن الانفصامات بإمتياز، حيث تتبدل الشخصيات، وتنتهي قصة ليبدأ فصل جديد.
لقد أصبحنا كالممثلين الذين ينتظرون أدوارهم، فينتقون الشخصيات بدقة وحذر.
نراهم في كل فصل جديد يلبسون الوجوه ويكون أداؤهم محترفاً ومقنعاً.
ولأننا نعيش وسط خشبة المسرح، وجب علينا أن ننفصم ونتغير في دقائق.
كل منا حسب الشخصيات الكامنة في نفسه المريضة ووراء وجوهه الزائفة.
فعلاً، إنه زمن الانفصامات بإمتياز...

انفصمت الشخصية في أقل من عشرين دقيقة. وانتهت المسرحية. وأسدلت الستائر في انتظار فصل جديد.

وكل إنفصام وأنتم بخير..

للأقوياء فقط....

يرى البعض أن حل المشكلة هو الهروب من المواجهة.
يهرب الانسان حين يدرك أنه لا يملك الأجوبة المنطقية أوالحجج القوية ليُقنع الطرف الآخر أنه على صواب.
أو يلجأ الى الهروب لأنه أضعف من أن يواجه الآخر بالحقيقة.
تتطلب المشاكل القوة والشجاعة الكافيتين للمبادرة.
فلمَ لا نبادر الى حل مشاكلنا؟
نحن في طبيعتنا ضعفاء. وتكبلنا القيود الإجتماعية والدينية والأخلاقية.
لكن في زمن الإنفصامات، ما يكبلنا هي المصالح الشخصية، وحساباتنا الخاصة التي نخاف عليها أكثر من وجودنا.

من هنا، تبقى المبادرة خجولة لإيجاد الحلول. فنصل في النهاية الى حائط مسدود نقف أمامه ونحن لا نملك الأدوات لتحطيمه.

إن البقاء لمن يملك الشجاعة على المواجهة وعلى تحطيم الحواجز وتخطي الحدود.
لكن لا تنخدعوا...
إن القوة في معظم الاحيان، ليست أنسب الحلول، لأنها تقتل صاحبها.
إنه زمن الأقوياء فقط... والبقاء لمن يفرض قوانينه ويبسط سلطته ويحكم بصولجانه الظالم.

وتستمر الحياة...

هكذا هي الدنيا. يوم تفرحك وأيام تحزنك. تعتقد أن الفرح قد حلّ في داخلك، فيأتي القدر لينتزعه بأنيابه السامة.

ما ذنبنا إن أحببنا؟

لو شاء القدير، لخلقنا مجردين من تلك الأحاسيس التي تحركنا فتدخلنا في طواحين الحب.

حين يحل الحب في قلبك تتغير ألوان الحياة. وتصبح أنوار النهار مشرقة، ويتراقص القمر في صدر السماء فرحاً.

لن أترك القدر يلعب لعبته فيهزمني. ففي قلبي المحبة وفي عقلي الإيمان وفي كلامي أرق العواطف. مشاعري هي ملك للحب. وقلبي هو ملكٌ لكَ، أنتَ، أيها القدير الكبير والقادر على أن تغيّر أصغر

الأمور. لو أردت لحلت مشيئتك. وإن مانعت فالأمر النهائي يبقى لك.

ومع كل هذا تستمر الحياة... ونستمر في الحب ونحاول من جديد.

هذه هي الحياة تسير في خطاها ثابتة ولا ترحم الضعيف.

أنا أحب ....إذاً أنا إنسان

نتساءل طوال حياتنا: لمَ نحتاج الى الحب؟ وهل نستطيع أن نعيش من دونه؟

الحب كالهواء. إنه أوكسجين الحياة ومن دونه تموت فينا إنسانيتنا.

هذه ليست فلسفة. هذا هو الواقع ومن يعيش من دون هذا الشعور ونعمته، يغرق في بحر من الضيق و الضياع ويفقد بوصلة الوجود...

أنا أحب... إذاً أنا إنسان موجود.

الحب هو محرك الإبـداع. يفجّر فينا حتى بآلامه وعذاباته الطاقات. و يُخرج منا أجمل الإنتاج. إنه محرك الفنان، وملهم الشاعر. إنه في خيال الرسام وبين نوتات الموسيقي.

يكمن الحب في نظرة حنان، في كلمة طيبة، وفي

إبتسامة صادقة. الحب هو أكبر من أن يحصر في قوالب. إنه يحلق كطير في الهواء.
ربما أكون عاشقة للأرض التي ولدت فيها.. وربما أكون أحارب من أجل قضية معينة... وربما أكون هائمة في حب إنسان.
لكن من المؤكد أن لا وجود لي من دون الحب.
الحب هو سبب النجاح وآلامه هي سبب الفشل.
وفي بعض الأحيان تكون أوجاع الحب أقوى من سعادته، فتقفز بالإنسان عشرات الأميال الى الأمام.
ما أروع الحب.... أنا أحب إذاً أنا إنسان...

وراء الأقنعة

نختبئ وراء أسماء مستعارة حتى لا نعترف أننا ضعفاء.

لماذا نخاف من أسمائنا الحقيقية؟

لماذا نخاف أن نواجه الأقدار؟

لماذا نخاف أن نقول إننا هنا، وأن هذه المساحة لا تقدر أن تلغي ما قد حصل.

نخشى حقيقة مشاعرنا، ونخجل من البوح بما يختلج قلوبنا من عواطف.

ما أجمل الشمس حين تشرق بنورها وتلفح بدفئها الوجوه..

ما أروع القمر في سمائنا. إنه يؤكد أن النهار قد مضى، وأن الليل قد حل وسيأتي الغد بيوم جديد.

المكتئبون منتجون وليسوا منفصمين

في هذا الزمن، أصبح الإكتئاب عنوان العصر. في آخر التقارير الطبية، توصل فيها العلماء الى أن المكتئبين منتجون.

وربما خيرُ مثال على ما توصلوا إليه مؤخراً، حياة كبار العباقرة في مختلف المجالات. فقد كان هؤلاء مكتئبين، إنما كانوا منتجين، لكنهم عاشوا تعساء.

أما المنفصمون فلا حياة لمن تنادي. ويبقى المنفصم في هذا الزمن غير منتج ويكون غائباً عن الواقع، وهو في حالة انتظار ليخلع القناع، وليضع واحداً جديداً، ويدخل في شخصية أخرى.. وتبدأ فصول المسرحية.

أيتها الهاربة من الحقيقة

لا تحبينه؟ لا تريدينه؟ لكن لمَ هربت طوال هذا الوقت من دون أن تدركي حقيقة ذاتك؟

أنت منفصمة يا سيدتي. وانفصامك متعبٌ جداً. ستكون حياتك وعرة وقراراتك معدومة وشخصيتك في مهب الريح.

منحك القدر فرصة ذهبية.. فرفضتها.

ستلبسين القناع وراء القناع حتى تندثر معالم وجهك الحقيقي. وتبدأ معك رحلة البحث عن روحك الضائعة وعن شخصيتك وعن هوية وجهك الأصلي.

أنت مسلوبة الروح. وقد قررت الإستسلام.

من أنت؟

أنت رقَم آخر يضاف على الأرقام...

السائر على درب الإنفصام

يُصر على أنه محق فيما يقوله. يصرخ ويصيح كالديك: أنا على حق... أنا على حق.

وعندما تقع المشكلة يبادرك بالقول: «أنا لست المسؤول عن ذلك».

وإن أخطأت يجلس في كرسيه ويضحك بخبث كبير ويقول لك: «أنا قلت لك.»

تراه في المكر مدبراً. ويسابقك على الفتات ولا يشبع من الثرثرات كالنساء. ينصب الفخ لك غير مبالٍ، ويحيك لك المكائد وهو يفتح لك الباب ويقول: «تفضل وقعت في الفخ».

حين يراك غاضباً ينقض عليك لينهش من لحمك. وحين تكون في أحلى لحظاتك، يرسم على وجهه ابتسامته الصفراء ويلاطفك مكرهاً، وفي قلبه غصة،

و في نفسه طمع . ويهمس: «ليتني أنا من هو سعيد.»
لا يعرف الراحة إلا حين يرى غيره تعيس. ولا يشعر
بالسعادة إلا في حال سمع أنين الوجع .
إنه ثعلب بوجه إنسان ماكر...

شكراً لإنفصامك

ما أصعب الألم حين ينخر في العظام وتكتوي منه الروح. لكل منا تجربة حطمت له آماله الكبيرة بأن يحيا قصة عشق مجنونة في هذا الزمن المرّ. الحب سُكر الحياة.

قالتْ لهُ: «أحبكَ». وغاصت في عينيه تفتش عن مأوى لها. فوجدت فيهما أعجب الأماكن، وأرق المشاعر، وأروع الكلمات.

قال لها: «لن أحتمل أن أجرح من جديد. فحياتي لم تكن إلا مشوار عذاب مرير. فحذارِ أن توقعيني في بحر الشقاء».

الحب ليس كلمات نرددها كالببغاء. ولا هو أغنية رومنسية تنتهي مع مقطع لحنها الأخير. الحب ألم وفرح معاً.

عند أول مفترق طريق، غابت حبيبته عن السمع وانقطعت الأخبار.
تذكر حين قالت لهُ: «معك الى الأبـد». وضحك بجنون.
قال لها في حينها: «أتدركين معنى هذا القسم؟».

شكراً لانفصامك....لم تدم فصول المسرحية أكثر من أربعة فصول.

الكذب فن وإتقان

يحسب الكاذب نفسه ذكياً في إطلاق العنان لمخيلته في اختلاق الأكاذيب والمواقف .
طبعاً، في مثل هذه الحالة هو في حالة انفصام كلي ويعيش دوره بإتقان. وقد يعمد الى إشراك الآخرين معه في كذبته حتى يؤكد صدقيتها.
إن كان كاذباً أو كاذبة لا فرق. المهم أن النتيجة واحدة: تلاعب بالآخرين وبث حالات غير موجودة في معظم الأحيان تقود الى مشاكل ومصائب كبيرة.
إليكِ أنتِ أيتها الكاذبة. لست مضطرة بعد اليوم الى لعبِ دورِ الضحية. فأنتِ هي الجلادة. لقد خططت بعناية فائقة وحبكتِ كذبتك بإتقان، ولعبت دورك بامتياز. لكنك أخفقتَ في مكان ما، جعلك مكشوفة أمامي.

لقد وضعتك منذ اللحظة الأولى في خانة الكذابين والمتلاعبين. وسرت معك لعلك تدركين الخطأ الذي ترتكبينه.

المشكلة فيك أنت وليس بالآخرين. لأن الكذب مع تقدم العمر يصبح عادة يدمن عليها الإنسان. وفي جميع الأحوال يبقى حبل الكذب قصيراً.

كيف أشفى من حبك؟

قالوا له: «أنت مجنون. ألم يحن الوقت حتى تنساها؟ تركتك ورحلت تحت وطأة الظلام. هربت دون ان تقدم أي عذر يقلل من قبح وقاحتها. أما زلت تنتظر منها السؤال؟ أنت مجنون.. إستيقظ من أحلامك الوهمية وانظر الى ما وصلت إليه. لقد اغتالت فيك الرجل الحكيم وأصبحت مجرد ظلال يرمى على الأرض حين تشرق عليه الشمس.»

أجابهم: «كيف أشفى من حبها؟ عاشت معي منذ أن ولدت وكبرنا سويا بين سنابل القمح وركضنا معاً على درب الحياة. كيف أشفى منها؟ أدمنتها حتى انحلت مفاصلي وخل توازني.

إن تنفست، هي هوائي وهي الحياة لقلبي. ورحيلها أسدل آخر فصول من ربيعي، وسيحل علي قريباً الخريف وسأرحل من دون أن أطبع على خدها قبلة الوداع».

أنتَ وهمٌ

أنت وهمٌ يعيش معي ويكبر كل يو م حتى بات يعبق بثواني الساعات. ما عدت أستطيع أن أهرب منه. لقد أصبح جزءاً مني وانصهرتُ معه لدرجة الإدمان. فبات هلوسة لا مفر منها.

أنتَ وهمٌ خلقته بنفسي. فانقلب وأصبح كابوساً بشعاً. ينقض علي في ليلي ويُغرق نهاري بالهلوسات. ما أبشع أن ندمج الوهم بالواقع . فنخلق لأنفسنا كذبة كبيرة نصدقها ونغرق فيها سنوات. نعيش في غيبوبة كاملة عن الواقع ونكون أبعد عن الحقيقة.

وفجأة، حين نستيقظ من أوهامنا نكتشف مدى الحالة المرضية التي كنا فيها.

أنتَ وهم نسجه خيالي وعشت معه لكنه إغتال الإنسانة التي بداخلي.

أنت وهم وما عدت أريد أن أعيش في سجنك.
سأتحرر من ذاتي .
أنت وهم وأقسى ما فيه، أنه وهم جميل صنعته بنات أفكاري.

المقلدة الصغيرة

لقد فهمت أخيراً سبب اهتمامك بي. وأيقنت السبب الذي من أجله بحثتِ عني واندسستِ في أحداث حياتي.

لقد فرضتِ وجودك بالقوة. وتابعتِ تفاصيل حياتي وطلبتِ أنَ تكوني التلميذة الصغيرةَ.

وفي غفلة من الزمن، رحلت واختفيت. وأعتقدت أنني سأجن من دونك وأنني سأفقد بوصلة عقليَ، وسأشرد في الطرقات أبحث عنك. لقد أخطأت. لم تأتِ حساباتك كما تشتهي سفن أوهامك المرضيةَ.

أنتَ الآن تبحثين عن وجه جديد. ليكون هو التلميذ وأنتَ المعلمة. وستقلدين كلماتي وستنسخين أفعالي وستتقمصين شخصيتي. لكنِ، مهما كبرت وترفعت في فنون التمثيل ستبقين دائماً المقلدة الصغيرة.

إلى هاربة من وجه الحب

يا صغيرتي الحب ليس جملاً نصيغها ولا كلمات نقولها لمجرد الرغبة في تقليد الآخرين.
الحب مشاعر تشتعل في صدورنا وتسيّر الدماء في عروقنا. إنه حد السيف القاطع لكل ما نملك من أنانية. إنه ثورة في وجه موت قلوبنا. الحب هو الحياة التي تجعلنا بشراً.
يا صغيرتي الحب لا توقفه العواصف ولا ينحني أمام جنون الرياح. إنه بركان متأجج في كياننا يحرق النفس لتحيا المشاعر.
أيتها الهاربة من وجه الحب عودي الى مأواك المظلم واركني في الزوايا.
فأنت لم تخلقي للحب... أنت ما خلقت إلا لعذاب الآخرين.

إرحلي أينما تريدين... فالحب لن يعرف الى قلبك مصيراً... فأنت ما زلت في الحب طفلة مدللة تحتاج الى نضوج السنين.

تركت قلمي يتكلم نيابة عني

مرت أيام لم أكتب فيها. شعرت أنني غريبة عن جسدي الذي يسكنه التعب. كنت غارقة في بحر الأشغال والأعمال ولم أجد لنفسي دقائق أركن فيها للهدوء وأترك قلمي يترجم عني ما أريد أن أقول.
في صخب الحياة، نفتش دائما عن مسكّن للجروح. نهرب من واقعنا ونختلق عوالم خيالية نسكن فيها ونخترع شخصيات تعيش معنا وتشاركنا الحياة.
في الواقع المرير، نحن وحيدون نتلقى لسعات الصقيع ونفتش عن مصدر للدفء.
إن قلت أحبك بعد كل تلك السنين، فاعلم أنني أحببتك منذ سنين. وإن قلت أنني كرهتك فاعلم أنني أحبك أكثر من الماضي ومن حاضري الحزين.
في كل مرة أراك فيها يدق قلبي، كأنها المرة الأولى.

وتبتسم عيناي، ويحتلني هذا الفرح الكبير. أنت الماضي الحاضر معي في كل مفاصل حياتي. لا أخجل أن تظهر علي علامات حبك. وأنت العالم بأمري والمشارك في صمتي.

تركت قلمي يتكلم نيابة عني. فأصدق المشاعر تخرج في لحظة التجلي. فالسنوات التي مرت لم تذهب سدىً. لقد أكدت لي عمق المشاعر ومصيرنا المشترك معاً.

كيف سأترك ألمك يقطع آخر وريد من شرايين قلبي؟

إن قطعتَ آخر وريد من شرايين قلبي يعني أنك حكمت علي بالموت...

كيف سأسمح لك وأنا عاشقة للحياة؟

لن أعيش من أجلك... فتلك خرافة يرددها الضعفاء...

لن أحيا في ذكريات حبك وأدفن في كتاب مغامراتك الحمقاء.

من قال لك إن الكون حين رحلت توقف عن الدوران؟

تلك الكلمات تصاغ في الأشعار وبين سطور النثريات.

أيعقل؟ أيعقل أن تصدق ما يقوله الشعراء؟

في دواوين الحب كل شيء مسموح.

إنها المساحة الوحيدة التي يسمح للعاشقين فيها أن يتحولوا الى أبطال.
لن تصبح بطلاً...
فللبطولة قوانين... وأنت في الأساس خارج لعبة الحياة...
لقد فقدت الروح... ومات فيك الإنسان...
لن تصبح بطلاً...
أنت شبه هيكل عظمي ينتظر ان تلتهمه النار ليستريح...
من أخبرك أن الحياة ستتوقف حين تمسك بأطراف ظلك وتهرب كالجبان؟
أيعقل؟
أيعقل أن تصدق ما يقوله الشعراء؟

رسالة الى عنوان مجهول

ربما في يوم من الأيام، ستقرئين ما كتبته في زاوية ثقافية أو في مظاهرة فنّية.
لم أكتب منذ أن تفارقنا وانفصلنا وذهب كل منا في طريق. لم أكتب خواطري ضمن أحرف أو كلمات.
رسمت في كل ثانية من زمن فراقنا قصيدة لونية تخبئ جزءاً منك.
حلمت أن المستحيل أصبح واقعاً في حديقتي اللونيّة، تلمست وجهك الملائكي. لامستْه ريشتي فارتعشت ألماً وبكت أحمر وأخضر وأصفر...

لم يعد اختراع الصفات مستحيلاً في زمن الكمبيوتر والانترنت وعصر السرعة. لم أجد أجمل من اسمك أناديك به. فهو أنت بكامل حقيقتك. بكامل جنونك.

ما زلت أخضع حتى الشبق الأخير لفصول الحب... ما زلت أعشق... ما زلت أهيم دون جدوى، دون مكان، ودون زمان. ما زلت أخضع لأهواء جنونك.

تراكمت أفكاري، تجمعت على أشكال ألوان وأحجام حصرتها الكوادر الخشبية.

هل لاحظتِ! عاودتني الكتابة بعد جدل طويل. كانت غاضبة منيِ لأنني لم أعد أسقي بساتينها من حبر أقلامي.

ليتها تعرف السبب... لما غارت من ريشتي والواحي.

أنت حد قاطع بين الجنون والعشق...
أنت حد قاطع في حياتي المتواضعة... أرتجف ...
تنقطع أفكاري المشحونة والمضطربة...
أشتاق إليك في وجودك أكثر من غيابك.
أنت ضعفي بأكمله. أنت نيراني الوقادة والحارقة ألواني.
لن تستلم مني بعد اليوم أي جزء من الورق يزينّه خطي الرديء، لأنني سأقلع عن الكتابة بعد الانتهاء من إكمال رسالتي...
سأقلع عن رسمك حتى بالكلمات على أوراق وهميّة.
سأقلع عن عادة ألفتها وأدمنتها... لأن رسائلي باتت دون عنوان...

عندما نفشل في الحب نهرب الى الكتابة... نبني بين الأسطر شخصيات وأبطالاً لها من صفاتنا وطبائعنا... ونسكنها في قصور من ورق... ونبدأ في إعداد سجل ندون عليه تاريخ ميلاد كل شخصية.

في الحب لا غالب إلا القلب.